مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي
دراسة أدبية تحليلية

د. ميرغني حمد ميرغني حمد
أستاذ مشارك– كلية التربية–جامعة كسلا

المستخلص:

تُعد القيم الأخلاقية الفاضلة في الشعر السوداني أمر ملحوظ ، لكون أنّ معظم الشعراء السودانيين ينحدرون من أصول دينية إسلامية، وظهر في السودان مجموعة من الشعراء تبنت من خلال أشعارها، اتجاهات القيم الأخلاقية الفاضلة، التي يدعو الدين الاسلامي التمسك بها، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي، ويعد واحد من أبرز أقطاب التصوف في السودان . وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز القيم الأخلاقية في شعر محمد سعيد العباسي، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة . حيث تناولت المقدمة موضوع الدراسة وأهدافها وأهميتها ومنهجية الدراسة والدراسات السابقة التي أفاد منها الباحث، وتناول المبحث الأول الشعر السوداني من حيث النشأة والتطور والأغراض، وفي المبحث الثاني تناول الباحث نبذة تعريفية عن الشاعر محمد سعيد العباسي ونسبه وشعره وديوانه، وجاء المبحث الثالث متناولاً مفهوم القيم الإنسانية ووظائفها، وفي المبحث الرابع تناولت الدراسة مجالات القيم الأخلاقية التي تضمنها ديوان محمد سعيد العباسي، ثم خاتمة تشمل أهم نتائج الدراسة والتوصيات. خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها: أنّ ديوان العباسي زاخر بمجالات القيم الإنسانية الفاضلة التي دعا الإسلام للتمسك بها، بالإضافة إلى إن شعر العباسي عن القيم الإنسانية فيه روح جديدة، ومعان جديدة، وحياة جديدة ، تعكس خياله الواسع حيث تشربت نفسه بروح الإسلام .أوصت الدراسة بتناول جوانب أخرى في شعر العباسي ، مثل شعر الحنين ، وشعر الوطنية ، والفخر والحماسة ، بالإضافة إلى اعتماد شعر العباسي في المقررات الدراسية في التعليم العام بالسودان، والتركيز على قصائده ذات النزعة الإنسانية الفاضلة والنبيلة .

الكلمات المفتاحية : الشعر السوداني ، القيم الإنسانية ، محمد سعيد العباسي

ABSTRACT

The moral values in Sudanese poetry are notable, as most Sudanese poets are of Islamic origin. A group of poets appeared in Sudan whose poems included human values, including the poet Muhammad Saeed Al-Abbasi. This study aims to highlight human values in the poetry of the Sudanese poet Muhammad Saeed Al-Abbasi. The researcher relied on the descriptive analytical method. The study consisted of an introduction, four sections, and a conclusion .The study concluded with a number of results, the most important of which is: The poetry of Muhammad Saeed Al-Abbasi is full of areas of good human values, called for by Islam. In addition, Muhammad Saeed Al-Abbasi's poetry

about human values carries a new spirit, new meanings, and a new life that reflects his vast imagination, which was included in the spirit of Islam. The study recommended addressing other aspects of Muhammad Saeed Al-Abbasi's poetry, such as the poetry of nostalgia and the poetry of patriotism, in addition to introducing a collection of his poems with a humanitarian tendency into public education curricula.

مقدمة:

إن القيم الإنسانية في الشعر السوداني أمر ملحوظ حيث أن معظم الشعراء السودانيين يتمتعون بثقافة إسلامية، لكون أنّ معظم الشعراء السودانيين ينحدرون من أصول إسلامية صوفية، وظهر في السودان مجموعة من الشعراء تبنت من خلال أشعارها، اتجاهات القيم الإنسانية الحميدة القاضلة، التي تدعو الأديان السماوية جميعها إلى التمسك بها، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي، ويعد واحد من أبرز أقطاب التصوف في السودان، والده الشيخ محمد شريف نور الدائم كان خليفة للطريقة السمانية وزعيماً طائفياً كبيراً تتلمذ على يديه كثير من الأئمة والعلماء بالسودان، فقد كان أستاذاً للإمام محمد أحمد المهدي زعيم الثورة المهدية في السودان. ارتبط الشاعر العباسي من خلال قصائده بهموم وقضايا الوطن العربي والإسلامي وبث القيم الأخلاقية زالإنسانية الطيبة، ووصف الطبيعة والمدن، ففي قصيدته الرائية المسماة بالطرابلسية عبّر عن غيرته على الإسلام والمسلمين حينما اعتدى الطليان على طرابلس الغرب، وفي هذا يقول العباسي(الديوان،1948:ص106):

ألا يا بني الإسلام هذا حماكمُ وهذاك نورُ الحق في ضوئه فاسروا

فالعباسي – رحمه الله – يُعد باعث نهضة الشعر الحديث في السودان، بالإضافة إلى ذلك ترك لنا في شعره أثاراً اشتملت على القيم والنزعات الإنسانية، وتتضمن نصائح خُلقية تتسم بالتفكير الفطري، ورغبة صادقة من الباحث لدراسة مكنونات وجواهر الشعر السوداني، جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على القيم الإنسانية الأصيلة في شعر الشاعر محمد سعيد العباسي، باعتبارها قيم رفيعة تساهم في بناء مجتمع حضاري وإنساني نبيل.

أسئلة الدراسة:

- ما نشأة وتطور الشعر السوداني؟
- ما أبرز مدارس الشعر السوداني ؟
- ما مفهوم القيم الإنسانية في اللغة والاصطلاح؟
- ما أبرز ملامح ومظاهر القيم الإنسانية في شعر العباسي؟

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية القيم الإنسانية من الأثر الذي تتركه على السلوك الإبداعي لدى الفرد أو الجماعة، وأهمية هذه الدراسة تتبلور في النقاط التالية :

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

- الرغبة الصادقة لدراسة مكنونات جواهر شعر محمد سعيد العباسي لما يتمتع به من مكانة سامية.
- ترسيخ القيم الإنسانية في نفوس الأجيال من خلال اللغة الشعرية صاحبة التأثير القوي لدى شاعرنا العباسي .
- إبراز دور اشعر العباسي في ترسيخ القيم الإنسانية.
- إثراء الأدب السوداني من خلال إبداعات الشاعر محمد سعيد العباسي وتفرده .
- ندرة البحوث والدراسات التي تناولت موضوع القيم الإنسانية في شعر العباسي .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية لتحقيق عدد من الأهداف هي :

- إبراز مفهوم القيم الإنسانية.
- بيان القيم الإنسانية في الشعر السوداني الحديث .
- حث الفرد والمجتمع للتمسك بالقيم الإنسانية الفاضلة .
- بيان الأسلوب اللغوي والأدبي والديني في شعر " العباسي".
- تشجيع الباحثين للتعمق في دراسة شعر محمد شعيد العباسي .

منهجية الدراسة :

سلك الباحث في الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي في جمع ما يخص موضوع الدراسة.

محددات الدراسة :

إقتصرت الدراسة الحالية على شعر محمد سعيد العباسي ، كما إقتصرت أداة الدراسة على قائمة مقترحة ببعض المجالات التي تمثل قيماً إنسانية فاضلة من إعداد الباحث، وجاءت المجالات كالآتي: برالوالدين، رد الجميل، الابتهال والتضرع، السعى للمجد والعلياء، خدمة العلم والتعليم، الكرم والشجاعة، حب الأوطان، نبذ الفرقة والشتات، حب الطبيعة ووصفها.

الدراسات السابقة :

بعد إطلاع الباحث على عدد من الدراسات والبحوث حول القيم الإنسانية في شعر العباسي اتضح – حسب علم الباحث – لم يكن هناك دراسات حول الموضوع ، إلا أن هناك دراسات قليلة تطرقت للقيم الأخلاقية والإنسانية عند بعض الشعراء العرب، وبعضها دراسات شبيهة إلى حد ما بالدراسة الحالية، ومن تلك الدراسات ما يلي :

(1) دراسة (الإمام ، الرضي جادين، ب ت) : القيم الاخلاقية الاسلامية وارتباطها ببناء المجتمع والحضارة ، جامعة الجزيرة ، السودان ، هدفت الدراسة للكشف عن ارتباط القيم الأخلاقية الإسلامية ببناء الفرد والمجتمع ، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها : أنّ القيم الأخلاقية

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

الإسلامية تلعب دوراً مهماً في تشكيل شخصية الفرد، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق مع الجماعة.

(2) دراسة (عبدالله ، إنتصار مهدي، 2008) : القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي ، هدفت الدراسة انتقاء النصوص الشعرية التي صورت قيماً أخلاقية في العصر الجاهلي، وتوصلت لعدد من النتائج منها :أنّ إنتماء الشاعر بالقبيلة وصلته بها جعله يسلك مسلك الإنتماء الفاعل الذي يرتبط بالصفات الحميدة من جهة . ولكن هذا لاينزع علاقته بالصفات المذمومة من جهة أخرى .

(3) دراسة (زريقي ، سميحة ،2012): القيم الأخلاقية والانسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه، هدفت الدراسة للتعرف على القيم الأخلاقية والانسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه ، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها :

تحلى أبو فراس بقيم أخلاقية وإنسانية رفيعة كانت نتاج بيئة حاضنة راقية جعلت منه شخصية إنسانية حكيمة، خلدت على مر الزمن.

(4) دراسة (جاد السيد، الطيب عبدالوهاب ، 2020) : القيم الإسلامية في شعر المخضرمين (حسان بن ثابت أنموذجاً) ، تناولت الدراسة القيم الإنسانية بشقيها الجاهلي والإسلامي عند أبرز الشعراء المخضرمين وهو حسان بن ثابت، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها :أنّ شعر حسان بن ثابت حافل بالقيم الإسلامية، كما إتضح أن حسان بن ثابت أفرد للقيم الإسلامية مساحة أكبر في شعره .

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة موضوعات ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة الحالي، واتفقت الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في المنهج العلمي المتبع ، وفي عدد من مضامين القيم الإنسانية ، وقد استفاد الباحث من تلك الدراسات أيّما فائدة، وفتحت أمامه الباب واسعاً لدراسة متأنية حول موضوع بحثه وهو " القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي، دراسة أدبية تحليلية "، وإنْ كانت هناك حسنة تسجل لهذه الدراسة الحالية، فإنّما هي محاولة الباحث التعرف على مجمل القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي ، وهو ما لم تطرقه الدراسات السابقة.

هيكل الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أنْ تقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: بعنوان " الشعر السوداني: نشأة الشعر السوداني وتطوره "

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

المبحث الثاني: جاء بعنوان " نشأة وحياة الشاعر محمد سعيد العباسي "

المبحث الثالث: جاء تحت عنوان "مفهوم القيم الإنسانية".

المبحث الرابع: والأخير جاء بعنوان "القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي" .

أما فيما يخص الخاتمة: فجاء فيها، نتائج البحث وأهم التوصيات ، ثم ثبت لأهم المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث في الدراسة .

المبحث الأول: الشعر السوداني:

أولاً– نشأة الشعر السوداني وتطوره:

يقول الأستاذ مصطفى بشارة عن نشأة الشعر السوداني: "الشعر السوداني عريق في تاريخه ، ويدل على ذلك ما وجده علماء الآثار من كتابات عن مناشط الحياة المختلفة، وتراتيل وتعاويذ في المناطق القديمة من معالم وحوائط أثرية، تشبه إلى حد بعيد في صياغتها ونظمها اللغة الشعرية في عذوبتها وجرسها"(بشارة،2008)، ويقول دكتور عبده بدوي،: "بدأ الشعر في السودان شعبياً لا يخضع للغة الفصيحة وتقاليدها، وإن كان ينطوي على الأغراض العربية المتوارثة، كالمدح، والغزل، والحماسة، وقد نشأ كظاهرة طبيعية للحاجة إلى التغني بالحياة والتخفيف من ضروراتها "(بدوي،1981)، وذكر عون الشريف قاسم، أنّ الشعر السوداني مر بأطوار أربعة:

- طور النشأة وتمثله فترة 1505 – 1821 وهي
- الفترة التي تمثلها دولة الفونج ، وأهم مواضيعه المدح والرثاء .
- طور النمو 1821 – 1881 وتمثله فترة الحكم التركي .
- الطور الثالث يمتد من 1885 – 1898 وتمثله فترة دولة المهدية .
- طور الحداثة من 1898 وحتى اليوم وتمثله فترة الحكم الثنائي وما بعدها (قاسم،1988).

وقد قسم مؤرخو الأدب السوداني الشعر السوداني إلى أربع مراحل تاريخية: "مرحلة الأدب التركي ، مرحلة المهدية ، مرحلة أعقاب المهدية وهي تغطي النصف الأول من الحكم الثنائي وأخيراً ما بعد ثورة 1924م وتستمر حتى نهاية الحكم الثنائي ، فقد كان لكل عصر نقلة حضارية تاريخية بقدر ما هو نقلة من حكم إلى آخر"، وقد سلك الشعر السوداني في مراحله المتعددة عدة اتجاهات، حددها الدكتور بلة مدني، نقلا عن عبد المجيد عابدين، كما يلي :

- الشعر الشعبي الدراج .
- الشعر الديني الصوفي الفصيح .
- الشعر النقليدي الحديث .
- الشعر التجديدي القصيح (مدني،2010) .

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

ويرى الباحث أن هذا التطور في الشعر السوداني يعزى إلى الاهتمام الذي وجدته اللغة العربية الفصحى، من خلال الخلاوي والمعاهد الدينية والعلمية، إضافة إلى ذلك الصلات الأدبية بين شعراء السوان وشعراء العالم العربي، لا سيما وفود طلاب العلم للأزهر الشريف بمصر.

المبحث الثاني: حياة الشاعر محمد سعيد العباسي :

أولاً- حياته:

هو محمد سعيد بن محمد شريف بن نور الدائم بن البشير العباسي مؤسس الطريقة السمانية في مصر والسودان . ولد بعراديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض عام 1880م ، ثم انتقل به والده – أثناء الثورة المهدية في السودان – إلى قرية الشيخ الطيب "شمال مدينة أمدرمان" حيث تقيم الأسرة الآن(العباسي،1948) .

نشأ العباسي في أسرة كبيرة ذات زعامة دينية ، لها كثير من المريدين والأتباع ، وكان لها عدد كبير من المساجد والخلاوى، يقول دكتور صديق الريح: "نشأة العباسي في أسرة دينية ، أثر في تكوين وجدان الشاعر وعقليته ، كما تأثر بالصفاء الروحي الذي كان لأسلافه وتمسكهم بأهداب الدين والفضيلة "(العباسي،1948) ، وقد قال عن آبائه وأجداده مفتخراً بهم :

وكيف أقبل أسباب الهوان ولي آباء صدق من الغر الميامين
النازلين علة حكم العلا أبدا من زينوا الكون منهم أس تزيين

ينتسب الشاعر العباسي إلى قبيلة الجموعية ، وهي قبيلة ذات أصول عربية عرفت بالشهامة والكرم والنجدة ، يقول دكتور أحمد سامي: "اكتسب العباسي من صفات الجموعية سواد البشرة ، وتأثر بصفاتهم في الشجاعة والإقدام وعزة النفس التي لا تكون إلا عند الملوك ، واكتسب منهم أيضاً حب الحياة الرعوية وعدم الاستقرار، فقد أحب التجول في بادية الكبابيش بإقليم كردفان"(سامي،1968)، توفي الشاعر العباسي عام 1383هـ الموافق 1963م، ورثاه عدد من الشعراء السودانيين منهم عبدالله البنا في قصيدة مشهورة مطلعها(نورالدائم،2013) :

صوني قناعك يا مليحة أو ذري وقفي مكانك وقفة المتحسر

كما رثاه ولده القاضي الأستاذ الطيب العباسي ومن ذلك قوله :

أبي أن أخل الناس أوفى وإن دعوا أجاب وإما أبهمو القول أعربا
وإن أسرع الساعون للمجد فاتهم وإن قبلوا الدنيا على ما بها أبى

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

ثانياً- شاعرية العباسي:

نظم العباسي شعره على الموزون المقفى وجدد في موضوعاته، محافظًا على قوة السبك وجزالة اللغة مستمدًا صوره من بيئة الشعر القديم، غير أنه خاض موضوعات عصره التي ارتبط أكثرها بتجربته الروحية والوطنية ولا سيما قضايا السودان، وفي شعره مسحة ذاتية فجاءت تجربته مزجًا بين روافد عدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة كشأن رواد التجديد. و تتجلى علاقاته الإنسانية صافية مفعمة بالحنين في مراثيه، كما في مراسلاته ، وذكرياته .

وينطلق فن العباسي وأدبه من أماديدَ دينية عميقة الجذور في التصوف، كما يستمد قوته من لغة غذتها مشاهد البادية بمضاربها، ونيرانها، وانتقال الشاعر فيها من ماء إلى ماء، وانتجاعه فيها وتتبعه مساقط المطر، يقول دكتور أحمد سامي: " يعتبر العباسي رائدًا لنهضة الشعر في السودان، وعلى رأس حركة الإحياء والبعث، متتبعًا تقاليد الشعر العربي القديم متأثرًا بروح البداوة والفروسية، وهو واحد من أكبر شعراء اللغة العربية المحدثين، أمثال أحمد شوقي، إلا أنه لم يجد حظه من الترويج والدعاية في كثير من الأقطار العربية"(سامي،1968)، وقد نشر له ديوان شعر بعنوان "ديوان العباسي" عام 1948م ، وأعيد طبعه للمرة الثانية متضمنًا قصائد منتقاة من حيث جمالية التعبير وعمق المعاني عام 2014.

أما شاعريته فقد تناولها بالتفصيل كثير من النقاد والأدباء والباحثين، يقول دكتور سعيد ميخائيل: "الشيخ محمد سعيد العباسي يعد في الطبقة الأولى من شعراء السودان ، فهو أسمى الشعراء خيالاً وأعلاه منفساً ، وأجوده مقافية ، متين الأسلوب يغوص على المعنى القريب، فينتزعه لؤلؤة من بين أصداف، ويكسوه لفظاً متخيراً جزلاً لا وحشياً ولا مبتذلاً، ولعمري أنه هو الشاعر الفذ الذي لا ينحصر معناه في لفظه ، وهو على كثرة نظمه لا ترى شعره إلا عربياً محضاً، لا تلتصق به كلمة دخيلة ، ولا يدنو منه أسلوب العامة ، وله القدح المعلى في كل ضروب الشعر"(ميخائيل،1923)، ويقول الطيب العباسي: "قد أعاد للشعر السوداني جدته وأصالته في هذا الغناء الذاتي الحار، بعد أن كاد يقتلها التكلف والتقمص، والبحث دون طائل في الموضوعات القديمة "(العباسي، الطيب،1999).

لم يكن كل ذلك بالطبع محض الصدفة، وإنما هنالك عوامل عديدة توفرت لدي الشاعر للانطلاق لتلك المكانة السامية، وتربعه على عرش شعراء السودان ضمن شعراء آخرين، ومن تلك العوامل: حفظه للقرآن الكريم الذي نهل منه ثقافته الدينية والعربية، واطلاعه على دواوين الشعراء وكتب اللغة، وإلمامه بقواعد النحو والصرف، فقد حفظ ألفية ابن مالك، ومتن الأجرومية، ومتن الكافي في علمي العروض والقوافي(العباسي،1948)، هذا بالإضافة إلا أنه نشأ في بيئة شاعرة ، وتنقله في البادية ، خاصة بادية

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

الكبابيش في غرب السودان (الشوش،1971)، فالعباسى ومعاصريه أحمد محمد صالح، وعبدالله محمد عمر البنا، وعبدالله عبدالرحمن الأمين ، كان شعرهم تقليدياً ، ساروا فيه على مذهب القدماء من حيث اللغة والوزن والأغراض، واتجهوا به في الشعر الخطابي إلى الحنين إلى ماضي الإسلام(عباس،1971).

ثالثاً- شعر العباسي:

ديوان الشاعر محمد سعيد العباسي ، المسمى "ديوان العباسي " يتكون من ثلاثة أبواب كبيرة جاءت كما يلي :

الباب الأول: قصائد "الاجتماعيات" ويضم ثلاثين قصيدة .

الباب الثاني: في "الرثاء" وفيه إحدى عشرة قصيدة.

الباب الثالث: "مقتطفات" وفيه أربع قصائد بالإضافة إلى التخميس ، والتشطير ، والأبيات المتفرقة ، ومجموع القصائد المكتملة فيه خمس وأربعون قصيدة.

ويحفل الديوان بمعظم فنون الشعر الغزل، الرثاء، الحماسة، الفخر، والهجاء ، ولكن يظل هناك فنان طاغيان فيه هما: الفخر، والغزل. وقد أفرد العباسي في ديوانه باباً كاملاً عن الرثاء وهو ما يدلل مدى وفائه وإخلاصه لمن حوله من الإهل والأخوان والأحبة ، أما المدح لم يفرد له قصائد بعينها ، بل جاء مدحه في ثنايا بعض القصائد ، وكان مدحه ليس لغرض نيل العطايا ، إنما جاء من أجل الإعجاب والثناء والتقدير، يقول في إحدى قصائده:

لا تسقيني بكأس المادحين فهم رواد مرحمة عباد مقصود (ديوان العباسي،1948)

أما فن الهجاء لم ينل حظاً وافراً في ديوانه ، وقد جاء هجاءه عاماً في ذم الحضارة الغربية، والتحزب، وخدام السياسة، وهذا إن دل إنما يدل على أن العباسي ذونفس سمحة وخلق كريم، يقول في قصيدته " من معاقدي " :

جزى الله هاتيك الحضارة شر ما جزى من تصاريف الزمان المعاند

فلم تك يوما والحوادث جمة حمى لضعيف أو صلاحا لفاسد

ويقول في نفس الديوان، عن ذم التحزب والتشرذم:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

إن التحزب سم فاجعلوا أبداً يا قوم منكم لهذا السم ترياقا

وجاء فخره بقومه وآبائه وأعمامه، فيقول:

بأبي ومن كأبي افتخرت وفتكم بالزهر أعمامي أمان الجان

فلئن زعمتم أن فيكم مثلهم قولوا فلان في كمال فلان

وقد تناول الشاعر فن الغزل، الذي كثيراً ما جاء في مطلع قصائده، يقول الباحث أشرف نور الدائم: "والناظر إلى غزل العباسي يلحظ أن معظمه غزل رمزي، فمثلاً يستخدم اسم "هند" ويرمز بها للحرية"[35]، كما في قوله:

لا تخطبوا هند الرباب فهند غالية المهر

أما بحور الشعر التي استخدمها العباسي، فجاءت متفاوتة، فقد أكثر من بحور بعينها، كالبسيط والكامل والخفيف، وكان مقلاً في بعضها كالرجز والمتقارب والمنسرح، يقول أحمد سامي: "إن العباسي كان يميل إلى استخدام الأوزان المنبسطة مثل الكامل، والبسيط، والخفيف، والطويل ، وهذه الأوزان تتماشى مع فخامة العبارة التي يتوخاها العباسي في أسلوبه البدوي ، كما تتماشى مع الأصوات الجهيرة، والمقاطع القوية التي تناسب الأسلوب البدوي أيضا" (سامي، أحمد 1999، ص37.).

ضم ديوان العباسي أربعة وأربعين قصيدة، ويلاحظ الباحث أن العباسي في ديوانه، نظم في بحر البسيط اثنتي عشرة قصيدة، ونظم في بحر الخفيف عشر قصائد، ونظم في بحر الكامل عشر قصائد أيضاً، وتفرقت بقية قصائد الديوان وعددها اثنتي عشرة قصيدة على البحور الأخري بنسب متفاوتة.

ويرى الباحث أن شاعرنا العباسي تميز بالتزامه الصارم بشكل القصيدة العربية المعروفة، التي تلتزم الوزن والقافية، وربما كان مرد ذلك طبيعة حياته التي قضاها في البادية، التي تشبه إلى حد كبير حياة البادية في الجزيرة العربية، وقد تأثرت تجربته بالوقوف على الأطلال والسير في الصحراء، وذكر النسيب في معظم قصائده.

رابعاً– بناء القصيدة عند العباسي:

يقول دكتور إبراهيم السعافين: "الشاعر محمد سعيد العباسي كغيره من الشعراء الذين عاصرهم، الذين تمثلوا التراث الشعري تمثلاً فنياً مخلصاً، صياغة وأسلوباً وصورة" (السعافين ، إبراهيم،1981، ص357) ، وذكر

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

مقدم ديوان العباسي، الأستاذ محمد فريد أبو حديد، – مراقب التعليم الثانوي بوزارة المعارف المصرية وقتذاك– : "ساعة كنت فيها مع الشاعر الكبير المبدع الأستاذ عباس محمود العقاد، فجرى ذكر السيد العباسي وشعره، فانطلق الأستاذ العقاد يثني عليه في شعره وعقب على ذلك بثناء على فضائله ونبل نفسه" (القاعود ، حلمي ، 2006، ص22) .

والعباسي ينتمي إلى المدرسة الشعرية التي جاءت في أعقاب النهضة الحديثة، وقبل حركة الشعر الجديد، وعلى وفق هذا التصور فهو عمودي في في بناء قصائده، محدث في رسم صوره المستمدة من واقعه، وهو إحيائي في بعض صورة، ووجداني في بعضها، ومحدث في بعضها الثالث .

والشعر في نظر العباسي يعني رقة الشعور من خلال حروف كلماته الشعرية المتلألئة بياناً وفصاحة ، المستمد من روائع العصر، حيث يؤكد ذلك بقوله:

غيري شدا فتعالوا اليوم فاستمعوا شعر النّواسي من تلحين إسحاق
شعر هو الأدب العالي أنسقـــه كالدر عقدا وكالخيري أطبـــاقا
أحبو به كل من رقت شمائـــــله منكم وبات إلى العليـــاء تواقا

يقول الدكتور مجدي عبدالمعروف: "إن الحديث عن البناء الفني للقصيدة يفرض علينا أن نتعرض لبعض القضايا المهمة التي تشكل في مجموعها القضايا الأكثر أهمية في بناء القصيدة ومنهجها الفني، وهذه القضايا هي: المطلع، التخلص، الخاتمة، وحدة البيت، ووحدة القصيدة"[42]؛ وإذا نظرنا لمعظم قصائد العباسي نجد أنها التزمت في مطلعها بمقدمة غزلية، ويعزى ذلك إلى تأثر العباسي بالشعر القديم، ثم البيئة التى عاش فيها العباسي تشبه إلى حد كبير البيئة الجاهلية؛ فالعباسي كان في حياته مولعاً ومحباً لبادية الكبابيش مفضلها على حياة المدن مستعينا في ترحاله على الإبل[43].

والمتتبع لديوان العباسي يرى أنه يجيد التخلص في كل قصائده كما أجاد مطلع قصائده، فنلاحظ – مثلاً– في قصيدته "يوم التعليم" يبدؤها بذكر أيامه الطيبة مع المحبوب، فيقول:

مالي وللخمر رقّ الكأس أوراقا وللصبابة تُصلي القلب إحراقا
مضى زمانا تساقينا الهوى بهما في فتية كرمُوا وجداً وأشواقا

ثم نراه يحسن التخلص من مقدمته الغزلية، ليلج إلى غرضه الرئيس، ليعطي القارئ صورة جميلة، وفي هذا دعوة ونداء للاقبال لطلب العلم، بل دعوة للاستمرار في تحصيل التعليم من المهد إلى اللحد، فيقول:

العلم يا قوم ينبوع السعادة كم هدى وكم فكّ أغلالاً وأطواقا
فعلموا النشءَ علماً يستبين به سبل الحياة وقبلَ العلم أخلاقا

أما عن خاتمة قصائده نجده كثيراً ما يهتم بها بإعتبارها آخر ما يطرق الآذان فيظل صداها عالقاً بالنفس، فها هو يختم قصيدته "يوم التعليم" بحكمة وموعظة، إذ يقول:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

عسى الذي خلق الأشياء عن قدر يُزجي لنا من سماء الفتح إغداقا

والناظر إلى ديوانه يلاحظ أن الخاتمة عند العباسي عبارة عن حكمة أو موعظة تحمل خلاصة تجارب إنسانية، كما نلاحظ كثيراً ما تشمل الخاتمة عنده حمد الله تعالى والإيمان بقيم الدين الفاضلة، بجانب الحكم وخلاصة التجربة، ومن ذلك قوله:

والله أحمد حين أبرز للورى من غيبه ما كان سراً مضرما

المبحث الثالث: مفهوم القيم الإنسانية :

أولاً – تعريف القيم لغة:

عرفها الزبيدي في كتابه تاج العروس" بأنها: الديمومة والثبات، وهو مايشير إليه أصل الفعل (قوم) لأنه يدل على القيام مقام الشيء يقال: "ما له قيمة " إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت عليه(الزبيدي، ،1306هـ، ص36) .

والقيم مصدر كالصغر والكبر، وواحدة القيم: القيمة، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وتعني أيضاً الاستقامة والاعتدال، يقال: استقام له الأمر، ويقال: "أمر قيم" أي مستقيم، والدين القيم أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق (ابن منظور ، 1994، ص498)، وفي معجم متن اللغة، القيم: الأمر المستقيم الذي لا زيغ فيه، وجاء في تهذيب اللغة للهروي، القيم: إعطاء الشئ حقه، ويلاحظ من تلك المعاني اللغوية أن القيم تتعدد معانيها في اللغة، إلا أن جميعها تشير إلى الاستقامة والثبات والاستمرار، لذا كانت القيم مما يتمسك به.

ثانياً – تعريف القيم اصطلاحاً:

إن تعريف القيم من التعريفات التي إهتم بها الباحثون كثيراً، ورغم تعددها من مجال لآخر إلا أنها إتفقت في كثير من الجوانب ، فقد عرفتهاالباحثة بنت عبد الله بأنها: "حكم يصوره الإنسان على شيء ما مهتدياً لمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه أو المرغوب عنه من السلوك" (بنت عبدالله، 1430هـ ، ص143)، والقيم في المنظور الإسلامي مجموعة من المعايير تعبر عن الإيمان بمعتقدات راسخة، ويرى محمدالأمين الحق : "أنها نابعة من العقيدة الإسلامية فهي تصورات عن الله والكون والحياة والإنسان، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المتنوعة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته"(الحق، محمد أمين،2012، ص 335) .

وعرفتها الباحثة أسماء العمري: "بأنها المعايير والقناعات التي تحكم تصرفات الإنسان وتصوراته فتوجه سلوكياته في الحياة وفقا لمعطياتها، مما يساعد على تشكيل شخصيته، وتحديد هويته التي تميزه عن الآخرين، كما تستمد أصولها من المعتقدات والقناعات التي يؤمن بها أفراد المجتمع ويتفقون عليها لتشكل بالنسبة لهم معيار يحكمون من خلاله على الأشياء من حولهم"(العمري ، أسماء: 2015، ص169) .

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

ويعرفها الباحث إجرائياً بأنها: المبادئ والمثل الفاضلة التي تمارسها الجماعة في مجتمع ما وتستمد من المعتقدات الدينية ، لتصبح معياراً يحكم السلوك العام ويحدد شكل العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع .

ثالثاً – مفهوم الإنسانية:

عرّف ابن منظور في معجمه" لسان العرب" : "الإنسان" على أنّه معروف، أي أننا لسنا بحاجة لدليل عليه بسبب معرفته للجميع. و"الإنسان" أصله "إنْيسيان" لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره "أنيسياناً" فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم(ابن منظور : 1994 ، ص10).

وجاء أيضاً في "لسان العرب" لابن منظور: والأنَسُ: خلاف الوحشية، وهو مصدر قولك أنَسِتُ به، أنساً وأنْسَة(ابن منظور : 1994 ، ص344)، وفي ثنايا التعريف يذكر ابن منظور بأنّ لفظة "إنسان" تقال للمرأة، فلا يصح أنْ يقال لها: إنسانة. ويذكر أحمد النعيمي في كتابه "الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر": "أنّ لفظة "إنسانة " مِن المفردات المولدة"(النعيمي : 2008 ، ص 17).

ويذهب ابن منظور إلى أنّ العرب قاطبة تقول: الإنسان، إلا طيئاً، فهم يجعلون بدل النون ياء، معتمداً في ذلك على روايتين متفقتين؛ الأولى للحيّاني والذي يذكر أنّ قبيلة "طئ" تقول: إيساناً بدل إنساناً، والثانية للفراء ويقول فيها: "العرب جميعاً يقولون الإنسان إلا طيئاً، فإنهم يجعلون مكان النون ياء، أي: إيسان وجمعها: أياسين(ابن منظور : 1994 ، ص10)؛ ومِن ذلك قول جرير الطائي:

فَيا لَيْتَنِي مِنْ بَعْد مَا طَافَ أَهْلُها هَلَكْتُ ولمْ أَسْمَعْ بِها صَوْتَ إيْسان

ونلاحظ أنّ هذه اللُّغة ليس لها نصيب مِن التداول في لغتنا العربية اليوم في معظم البلاد العربية أو غيرها مِن البلدان، وأنّ اللغة المتداولة للكلمة اليوم هي "إنسان"، وأنّها وردت في القرآن الكريم "إنسان" ولم ترد"إنسيان" قال تعالى في سورة الإنسان: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً }(الإنسان، الآية 1).

وجاء في تاج العروس للزبيدي قولاً لمحمد بن عرفة الواسطي معللاً سبب تسمية الإنسان قائلاً: "سميّ الأنسيون، لأنهم يؤنسون، أي: يرون، وسميّ الجنّ جنّاً، لأنهم مجنونون عن رؤية الناس، متوارون"(تاج العروس ، ص99).

وجاء في "المخصص"لابن سيده:" الإنسان: لفظ يقع الواحد والجمع والمذكر والمؤنث"(1)، وفي المعجم الوسيط "الإنسان" هو الكائن الحي المفكر، والجمع: إناسيّ (أصله أناسين)، وإنسان العين: ناظرها، وإنسان السيف والسهم: حدّهما(ابن سيده ، ج1 ، ص15).

أمّا لفظة "الإنسانية " لم يعثر الباحث في معظم المعاجم اللُّغوية القديمة على تعريف لُغوى محدد لها – وإنْ وجد فهو مختصر – ونجد أنّ قاموس "محيط المحيط" لبطرس البستاني أوّل معجم ذكر فيه لفظة

[1]- المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده ، ج1 ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ص15.

"الإنسانية"، وأوردها بعده معجم "أقرب الموارد" لسعيد الخوري الشرتوني، ثم أوردها "المنجد" للأب لويس المعلوف، واتفقت كل تلك المعاجم على أنّ الإنسانيّة: ما اختص به الإنسان، وكثر استعمالها للمحامد كالجود وكرم الأخلاق(الشرتوني: 1992) .

وجاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية، الإنسانيّة: خلاف البهيمية وهي جملة الصفات التي تميز الإنسان؛ أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات(المعجم الوسيط ، ج1، 1987).

وإذا تجاوزنا المعنى اللُّغوي إلى المعنى الاصطلاحي للفظة "الإنسانية"، وجدنا العديد مِن التعريفات التي لا حصر لها، تقول الدكتورة عزيزة مريدن: "ليس مِن السهل التوصل أو الركون إلى تعريف واحد للإنسانية، أو مفهوم دقيق ثابت يجمع صفاتها كلها، ويحيط بمضمونها الواسع، وجوانبها المتعددة، والبحث في الإنسانية محفوف بالصعوبات بقدر ما هو شيق وظريف، لأنّ هذه الكلمة مشتقة في الأصل مِن الإنسان، فحينما نتكلم عن الإنسانية، فإنّما نتكلم عن كل ما يمت بصلة بالإنسان(عزيزة مريدن ، 1966 ، ص476).

والمدقق في كلمة "الإنسانية" يدرك أنّها مصدر صناعي اصطلح عليه حديثاً للدلالة على ما يقابله عند الغربيين مِن لفظ (Humanity)؛ ومعاجمنا اللُّغوية القديمة، لم تذكر كلمة الإنسانية، على الرغم مِن اشتمالها على كلمة "إنسان" بنحو ثمان ألف لفظ "(فوزي يوسف إبراهيم ، ص183).

ويقول عيسى الناعوري في تعريف الإنسانية: "نشر المبادئ السامية والمُثل العليا بين الناس، بالدعوة إلى الإخاء الإنساني العام ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العدل والرحمة والمحبة الصادقة(عيسى الناعوري ، 1958 ، ص36).

وتقول ثريا عبد الفتاح: "الإنسانية عاطفة سامية تربطنا بكل أفراد النوع الإنساني، وتغرس في نفوسنا الحنان، ولا فرق فيها بالجنسيات والأديان والألوان، لأنها عاطفة إنسانية تجمع تحت جناحها كل المذاهب والأديان والأوطان والممالك، ونشر سحائب الرضوان(ثريا عبد الفتاح، 1950 ، ص1).

وقد عرض لها الأدباء والنقاد، فها هو شوقي ضيف يقول: "ما أشبه الإنسانية بالتصوف، فكلاهما حلم وخيال، يحلم الصوفي بربه، ويحلم الإنساني بعالم لا يمكن أنْ يراه، ومع ذلك فهو يكثر مِن التفكير فيه والتعلق به متى يظنه حقيقة مِن الممكن أنْ يقع تحت بصره، فما يزال يهيب الناس والأمم أنْ يقفوا ليتأملوا معه، فيبصروا العالم الحق، ويفروا إليه مِن عالمهم عالم الآلة والشر(شوقي ضيف ، 1959 ، ص59).

أمّا الإنسانية في المجال الأدبي عموماً فيعرفها دكتور مفيد قميحة بقوله: "هي اتجاه عام شامل، لا يختص بها مذهب أدبي معين دون سواه ، فهي كالأدب وليدة العواطف الإنسانية والعقل الإنساني، وأقرب المذاهب إليها أكثرها قرباً مِن الإنسان وأشدها اعتناقاً له واهتماماً بقضاياه"(مفيد قميحة ،1981 ، ص51).

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

و نرى أنّ أكثر الأدباء قد جسدوا الإنسانية وصوروها في شعرهم، ووسعوا آفاقها؛ فيقول محمد عبد الغنى حسن: "ظلت الإنسانية على يد علماء اللغة والمعاجم، ولكن الله عوضها خيراً على يد الشعراء الذين وسعوا آفاقها، فأحالوها إلى معاني رفيعة، وأهداف سامية، ولم يتبادلوها بالتعريف بقدر ما تناولوا آثارها في الحياة ومظاهرها في المجتمع، فإنّ الشعراء عادة لا يهتمون بالتعريفات بقدر ما يهتمون بالأهداف والغايات ...(محمد عبد الغني ، 1972 ، ص41).

وقد ذكر العقاد أنّ: "الإنسانية مِن أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة، نسبها واحد وإلاهها واحد، خيرها مَنْ عمل حسناً، واتقى سيئاً، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه.

ومِن تلك المعاني والتعريفات للفظة "الإنسانية"، نلاحظ أنّ لفظة الإنسانية بمفهومها العام رسالة عالمية ترتبط بالأخلاق ولا تحدها أي حدود، ولا ترتبط بجنس أو نوع أو دين أو لون، فهي دعوة للمحبة والسلام تنمّي داخل الإنسان الخيّر، وتتعلّق به أينما سار.

وقدّ تبوأ الإنسان مكانة سنيّة في القرآن الكريم, فقد وردت كلمة "الإنسان "في كتاب الله العظيم – القرآن الكريم– خمساً وستينّ مرة, وكلمة" الإنس " ثماني عشرةّ مرة ؛ وبيّن الله تعالى مكانة الإنسان وأنّه مكرم عند الله؛ مسلمه وكافره, فيقول الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(الإسراء ، آية 70).

المبحث الرابع: القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي:

تعد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهرياً من مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الخلقية، ووضع للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها تربية إنسانية سليمة منها: القناعة والتوكل على الله والصبر والتقوى والتزام الصدق والوفاء والحياء والسخاء، كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليها ذوو النفوس الضعيفة مثل: الحسد والتكالب على موارد الرزق والإقبال على الدنيا والكبر والحقد والجبن والكذب وسوء الظن بالنفس وبالغير.

إنّ القيم الإنسانية التي عبر عنها شاعرنا العباسي، قيم فاضلة وقيم هداية، لأنها مستمدة من كتاب الله الكريم – القرآن الكريم – ، وسنة المصطفى ﷺ، والتقاليد والعرف السوداني الأصيل، وقد صنف الباحث القيم الإنسانية الفاضلة التي تضمنها شعر الشاعر العباسي إلى مجالات هي: بر الوالدين ، رد الجميل، التضرع إلى الله، الشجاعة، الكرم، السعي إلى المجد والعليا، رفض الذل والضيم، نبذ الفرقة والشتات، خدمة العلم والتعليم، حب الأوطان وبغض المستعمر، إلخ.

القيم الإنسانية في شعر العباسي:

1- بر الوالدين:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

إن بِرَّ الوالدين, والإعتراف بفضلهما هو أقصى درجات الإحسان إليهما، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين حتى قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده والبراءة عن الشرك اهتماماً به وتعظيماً له، ومن روائع الدين الاسلامي تمجيده للبر حتى صار يعرف به، فحقاً إن الإسلام دين البر الذي بلغ من شغفه به أن هون على أبنائه كل صعب في سبيل ارتقاء قمته العالية، فصارت في رحابه أجسادهم كأنها في علو من الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء وأعظم البر (بر الوالدين) ، الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان أفضل من جهاد النفل، يقول تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ" {البقرة : 83}، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال ﷺ: "رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما" {الطبراني : 3507} .

ونجد في شعر العباسي ما يدلنا على هذه القيمة الأخلاقية العظيمة، فها هو يبر والده بالاعتراف بفضله، فيقول: " وأما أبي – رحمه الله – فإنا لسان صدقه من بنيه، سلكت طريقه ودعوت إليه على بصيرة أنا ومن اتبعني ولا أزال أسأل الله أن يعينني على أداء ما يفرضه علي واجب الأبوة..."(ديوان العباسي، ص11)، ثم ينشد:

فقد طالما أهدى العوارف جمة إلي وكم براً حباني وكم نعمى
وعلمني كيف الوصول إلى العلا وكيف لها أسعي إماما ومؤتما

ويواصل العباسي في التزام واجب الأبوة، فيقول:

فيا رحمة الله أغمري جدثاً حوي بممرح في أحشائه الحزم والعزما
ويا برق طالع مطلع الفضل الندى وقل للسحاب الجون آيتك العظمى

2- رد الجميل:

الإسلام هو دين الأخلاق الإنسانية الرفيعة يفرض على المسلم أن يكون وفياً لكل من يسدي إليه معروفاً، شاكراً له ما قدم ولو كان بسيطاً، كما يحث الإنسان على رد المعروف بمعروف أحسن منه، والمكافأة على الجميل بما هو أفضل، وهذا المبدأ الأخلاقي يحث عليه القرآن الكريم من خلال قول الحق سبحانه : " وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا " {النساء 86}.

وقد نظم العباسي الشعر في أرض الكنانة – مصر – لأنه كان يرى فيها القلب الحنون والأم الرءوم ، ويرى أنها تستحق التقدير والود، لأنها رعته أدبياً وثقافياً وحفظت له حقوق الأديب، يقول العباسي:

مصر وما مصر سوى الشمس التي بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقـــــد سعيت لها فكنت كأنما أسعى لطيبة أو إلى أم القرى

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

وبقيـــت مأخوذا وقيد ناظري هـــذا الجمال تلفتا وتحيرا

يقول دكتور نصر فريد واصل عضو هيئة كبار العلماء ومفتي مصر الأسبق: "المسلم الحق وفي مخلص لا ينسى ما قدمه له الآخرون من صور المعروف، فهو يعترف دائماً بفضل أصحاب الفضل، ويشكر لهم، ويحرص على أن يرد المعروف بأحسن منه، فإذا ما عجز عن ذلك، فيكفيه تقديم الشكر لهم، وهذا في حد ذاته سلوك أخلاقي حث عليه الإسلام ونماه داخل كل إنسان، فنجد شاعرنا كان حريصاً لرد الجميل للشعب وللأرض التي قضى فيها جزءاً من حياته ونهل منها العلم والثقافة، وظلت أيام العباسي الزاهية في مصر حيّة في ذاكرته، فما ذكر الشباب إلا وذكر مصر يقول في ديوانه:

مصر وأيام الشبـــــاب الغض من لي بهـــما
وفتيـــــــة سامرتهم فاقـــوا الزمان هما
زين الشبـــــــاب حملوا مـــــع السيوف القلما
هذا يمج حكـــــمة وتـــلك في الهيجا دما

والمتأمل لديوان العباسي، يعلم ما كانت تمثله أرض الكنانة (مصر) بالنسبة له ومدى وفائه وإيمانه بفضلها عليه وعلى السودان، وهو إذ يذكر مصر لا يوري عن حبه لها، فيقول:

إن يوري عنكم أناس فما مِن مذهب الحب والوفا أن أورّي
لو يكون الخيار حكماً لما اخترت نزوحاً عنكم ولا قيد شبر
رب قدر لمصر طالع إسعاد وهيئ لمصر إصلاح أمر

يقول الأستاذ محمد فريد الذي قدم لديوان العباسي: "وصاحب الديوان إذ يذكر مصر لا يفتأ يحن إليها حنين الكريم إلى وطنه الحبيب، وهو مثل خيار الكرام في شطر الوادي يرى أن حياة مصر والسودان إنما هي حياة واحدة لا تتحقق لأحد الشقين إلا بتحققها للشق الآخر؛ فهو يحب لمصر الحياة لأنها حياة السودان، وهو يحب الحياة للسودان لأنها حياة لمصر(ديوان العباسي، ص19).

ويمتد سيل رد الجميل في ديوان شاعرنا العباسي لأساتذته وأصدقائه، فها هو يمدح خلف الله خالد الذي قال عنه: "هو أكمل من عرفته ديناً وصدقاً ونزاهة مدة معرفتي واتصالي به ثلاثين سنة"، فيقول:

مولى السماح فكم والى يداً بيد من غير منٍ ومحموداً بمحمود
أخ حباني من صافي مودته معينها وسقاني غير تصريد

وفي رثاء شاعرنا لفضيلة الأستاذ عبدالقادر عبدالباسط، نلاحظ مدى وفاءه وحبه لأصدقائه وأساتذته، وتتجلى لنا قيمة رد الجميل واضحة في أبياته، فيقول:

قد طلبت الخلّ الوفيَّ فلما أن بدا لي استغنيت عن كل خل

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

لم أُصب مثله صفياً وظني أنه لم يُصب من الناس مثلي

ولم ينس شاعرنا أستاذه الشيخ عثمان زناتي، وقد أفرد له جزءاً في مقدمة ديوانه، وفاء ورداً للجميل، يقول عنه: "كان رحمه الله ينشرح صدره إليّ ، وكنت من جانبي شديد الميل إليه ولازمني هذا الميل وهذا التقدير إلى يومي هذا" ، فقد حفظ لأستاذه الجميل الذي أولاه أياه ولم ينس فضله أبداً، فيقول: "وأرى لزاماً عليّ الآن أن أقرر أن هذا الأستاذ هو ثاني اثنين نشآني على الأدب وقرض الشعر: أحدهما أبي الأستاذ محمد شريف ... اللهم إن لهذين الأستاذين الجليلين علي ديناً وحقوقاً، اللهم أعني على قضائهاوقم عني إن قصرت بأدائها"(ديوان العباسي، ص11).

3 – الابتهال والتضرع إلى الله:

تظهر الجوانب الدينية والصوفية التي تأثر بها شاعرنا العباسي في كثير من قصائده ، فكثيراً ما نجد في ديوانه قصائد اختتمها بالسؤال والابتهال والتضرع إلى الله تعالى طالباً المغفرة، داعياً لقومه بالرشد والهداية ، يقول في ختام قصيدته "عبر الأيام":

من لي إذا ما ضمني في حفرتي أهلي وصرت بقعر دار بلقع
وسلاني الخل الوفي وسلوته وهجرت مصطافي هناك ومربعي
يا رب أنت حمايتي فتولني يا رب أنت من النوائب مفزعي
جد لى وزيّن ظاهري بعوارف وبباطني نور المعارف أودع
أنا عبد سوء أوثقته ذنوبه انا لائذ بحمى الرحاب الأوسع
إن لم تكن لي من ذنوب أثقلت ظهري فما أقوى واقفر مرتع

فالابتهال: الاجتهاد في الدّعاء وإخلاصه لله عزّ وجلّ– وفي التّنزيل العزيز: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ" {آل عمران : 61} .

وفي قصيدته "آلام وآمال"، نلمح ذلك التأثر الديني الكبير، ومدى ابتهاله واعتماده على الله – عز وجل – لا أحد سواه، فيقول:

مالي أخوف بالعباد وإنما أمري إلى الخلاق لا المخلوق
ما دمت سباقاً فليس بضائري أبداً مقالُ مدفّع مسبوق

ويقول مبتهلاً أيضاً:

يا رب أنت حمايتي فتولني يا رب أنت من النوائب مفزعي
جد لي وزين ظاهري بعوارفٍ وبباطني نور المعارف أودع

4– الشجاعة والكرم:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

إن الشجاعة خُلُق كريم ووصْف نبيل، يَحمل النفس على التحلّي بالفضائل، ويَحرسها من الاتّصاف بالرذائل، وهي ينبوع الأخلاق الكريمة والخِصال الحميدة، وهي من أعزّ أخلاق الإسلام، وأَفخر أخلاق العرب، وهي الإقدام على المكاره، وثَبات الجأش على المخاوف، والاستهانة بالموت، إنَّها سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة السليمة والعيشة الرضية على الأرض، لأنَّها تَجعل الإنسان يُدافِع عن حياته، فالشجاعة غريزة يَضعها الله فيمَن شاء من عباده؛ يقول عمر بن الخطاب: "إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزٌ في الرجال" {سنن الدار قطني : 3807}

أما الكرم خُلق عظيم من أخلاق الإسلام ويعدُّ من أفضل مكارم الأخلاق، وجميل الخصال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون ، فمَنْ عُرِفَ بالكرم عُرِف بشرف المنزلة، وعُلُوِّ المكانة؛ ودلالة على الأصل الطيب والجذور العريقة والنسب الكريم، والكرم من صفات الرب سبحانه وتعالى، فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ" {الترمذي:3556 }

وقد كان شاعرنا العباسي يتمسك كثيراً بأنه صاحب الأخلاق الفاضلة والمثل العليا كالشجاعة والكرم والأدب، ولا ريب في ذلك، فإن نشأته الدينية والصوفية ، إلى جانب ثقافته وأدبه عمقت فيه تلك الجوانب . يقول في ديوانه:

وكم نعمة لله عندي عظيمة حطمت بها أنف المساجل لي حطما
فلا أمنع المولى ولا ذا قرابتي ولا الطارق المعتّر معروفي الجما
وإن ذكروا حر القوافي فإنني حري بإبراز المحبرة العصما
إذا أنشدت في محفل الفضل عدها لحسن معانيها لسامعها غنما

ففي الأبيات ينظر شاعرنا إلى أن تلك الخصال الحميدة متمكنة في نفسه، فتدعوه للفخر، فيحمد الله على ما منحه من الشجاعة والكرم والعلم والأدب .

وعندما كان السودان يرزخ تحت سياسة غير مرضية– وقتذاك– ، وأن الوطني فيه غريب، صدح شاعرنا في شجاعة قائلاً في قصيدته " :

ما مُقامي حيث الصحاب قليل وبقائي بدار هونٍ وقهر
كم تخلى بالأمس عنى حبيب وجفاني من كان موضع سري

5– السعي للمجد والعلياء :

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

يرى شاعرنا العباسي، أن نسبه الشريف يحتم عليه أن يحيا طالباً للمجد والعلياء دوماً، يقول في قصيدته " عهد جيرون " :

منيت نفسي آمالاً يماطلني — بها زماني من حين إلى حين
القى بصبري جسام الحادثات ولي — عزم أصد به ما قد يلاقيني
ولا أتوق لحال لا تلائمها — حالي ولا منزل اللذات يلهيني
ولست أرضى من الدنيا وإن عظمت — إلا الذي بجميل الذكر يرضيني
وكيف أقبل أسباب الهوان ولي — آباء صدق من الغر الميامين
النازلين على حكم العلا أبدا — من زينوا الكون منهم أي تزيّن

فالعباسي يرى المجد والعليا تناسبه ولا شيء دونهما، كما يرى أن السعي في الدنيا يكون من أجل ترك أثر إيجابي، حتى يذكره الناس بالفضائل؛ فإن السعي لبلوغ العُلا والمجد ومراتب الرِّفعة من الأخلاق الفاضلة، التي تدفع الفرد أن يعيش بعيداً عن الجهل والنُّزول إلى القاع، وما أعمق أبيات الشاعر أبي القاسم الشابي حين قال في قصيدته "لحن الحياة":

إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ — ركبتُ المُنى، ونسِيت الحذرْ
ولم أتجنَّب وعورَ الشِّعاب — ولا كُبَّةَ اللّهَب المستعرْ
ومن يتهيب صعود الجبال — يعش أبَدَ الدهر بين الحفر

فطبيعة نشأة العباسي، بجانب ثقافته وأدبه يعمقان فيه الإحساس الكبير في السعى للمجد والعلياء، وأنّ سيرة أجداده تحتم عليه أن يحيا ساعياً إلى المجد والعلياء، بل كان يرى أن توليه لخلافة السجادة السمانية من الأمور المسلم بها، فنراه يقول:

ولست أرضى من الدنيا وإن عظمت — إلا بالذي بجميل ذكر يرضيني
وكيف أقبل أسباب الهوان — ولي إباء صدق من الغر الميامين
النازلين على حكم العلي أبدا — من زينوا الكون منهم أي تزيين

يقول الأستاذ محمد فريد أبو حديد في مقدمة ديوان العباسي، في الجزء الذي قارن حال شاعرنا بحال الشريف الرضي: "فالسيد العباسي إذا صدح في شرحه أحسست في موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضي إذ تردد في شعره حرارة السادة الذين يحسون مسؤليتهم في المجتمع، وتجمع معها نغمة أخرى من كرامة السادة الذين يحسون قصر اليد عما يريدون"(ديوان العباسي، ص11)، فهو الذي يقول:

أنا الغني بما غيري الفقير له — لم يخب يوماً ضيا عزمي ومعقودي
فكيف إن ذكروا الإملاق أحذره — إن صح بالله إيماني وتوحيدي

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

وتتصل بقيمة السعي للعلياء عند شاعرنا قيمة أخلاقية أخري، هي رفض الظلم والذل، وهي من فضائل الأخلاق التي دعانا دين الإسلام للتمسك بها، وكثيراً ما نجد في شعر العباسي، هذه القيم الأخلاقية الفاضلة في قصائده، ومن ذلك قوله:

وإن سلمت لي من خصالي أربع وقلب جرئ يأنف الذل والضيما
يدي ولساني والفؤاد الذي به أطول وعرض ليس يرضى لي الذما
خذوا أو دعوا يا قوم كل فضيلة فإني أراني عدت بالغرض الاسمى

وقد حفلت نصوص القرآن والسنة بشن غارة على الظلم والظالمين، واستحثاث المظلوم أن يقف ضد ظالمه، يسترد منه حقه ولا يستكين له، فالإسلام رفض النفسية المستكينة الكسيرة الذليلة، بل واعتبرها نفسية آثمة، يقول الله تعالى: " فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " {الزخرف: 54} ، وإن صيانة النفس، والسمو بها عن المذلة، وحفظ كرامتها لهو مما دعت إليه شريعتنا، وربَّت أبناءها عليه، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه" {الألباني: 2437}.

6- خدمة العلم والتعليم:

كتب الشاعر العباسي ضمن تجربته الواسعة قصيدة "يوم التعليم"، وقد ألفها في سياق الحركة الوطنية التي انتظمت السودان في نهايات النصف الأول من القرن العشرين، ضمن أنشطة الخريجين الساعين للاستقلال، وحث خلالها المجتمع وذوي الثروة خاصة، على رفد التعليم باعتباره حجر الزاوية في كل عمليات التغيير والتنمية وبوصفه طوق النجاة إلى بر النماء يقول في بعض أبياتها:

العلم يا قوم ينبوع السعادة كم هدى وكم فك أغلالاً وأطواقا
إن الشعوب بنور العلم مؤتلقاً سارت وتحت لواء العلم خفاقا

فيعتبر العلم السمة التي تتفاخر بها الأمم، وتسعى للوصول إلى أعلى المراتب فيه، لما له من أهمية كبيرة وأثر عظيم يعود على الفرد والمجتمع، لذلك جعله الإسلام المركز الأساسي لبنائه الشامخ؛ حيث إنّه قام عليه، ورفض كل الأوهام والضلالات التي هي نقيض له، ويعتبر العلم منهاجاً ثابتاً في دستور القرآن الكريم الخالد؛ حيث لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من الحديث عن العلم؛ سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، فقد بلغت عدد المرات التي جاءت فيها كلمة العلم بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم 779 مرة، لذلك جاء حديث شاعرنا لقومه حديثاً عن أهمية دور العلم، وبين لهم أنّ العلم ينبوع السعادة، وهو الذي يفك أغلال وقيود الجهل.

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

والعباسي من خلال شعره كان حريصاً كل الحرص لتحريك المجتمع للاهتمام بأمر التعليم، وتشجيعهم لتعليم أبنائهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة ، كما كان حريصاً على أن يرتبط التعليم بالأخلاق، بل يري أن الأخلاق الفاضلة الحميدة يجب أن تسبق عملية التعلم، فنجده يقول:

فعلموا النشء علماً يستبين به سبل الحياة وقبل العلم أخلاقا
أقسمت لو كان لي مال لكنت به للصالحات وفعل الخير سباقا

وعندما اتجه بعض السودانيين للأخذ من الثقافة الغربية وظنوا أنهم يحق لهم أن يأخذوا بقيادة الشعب، أنكر عليهم شاعرنا ذلك، لأنه يرى أن التشبع بثقافة البلاد وعلمها هي الأصل لمن يريد أن يقود الشعب، فيقول في قصيدته "المؤتمر المؤتمر" :

قد رابني من بعضكم ما كان من أمر نكر
خلق كأن قد خلقوا من غير طينة البشر

ونجده في قصيدته "يا علم خذ العلم" دعوة صريحة لنصرة اللغة العربية، والاهتمام بها، والحفاظ عليها فهي لغة القرآن الكريم، ولغة أهل الجنة في الجنة، فيقول:

وإن تنصروا الضاد ينصركم وإلا تكن صفقة الخاسر
فيا مبدع الكون هيئ لنا سبيلاً لمستقبل باهر

7- حب الأوطان ونبذ الفرقة والشتات:

بدأ الشعور الوطني في السودان يتجلى وينمو منذ القرن التاسع عشر وظل في ازدياد مستمر مع قيام الثورة والدولة المهدية ووثبات التصدي لنظم الحكم الاستعماري من تاريخ السودان حتى نما الشعور الوطني وبدأ يتوحد نحو محاربة المستعمر الذي يسيطر على البلاد، وتدرجت مراحل الحركة الوطنية وتطورت أشكالها وأدوارها من المقاومة المسلحة والثورات إلى مرحلة تنشيط الحراك الأدبي والثقافي لخلق شعور وطني موحد، فالتاريخ السياسي السوداني ومنذ العشرينيات من القرن العشرين ظل يكتنز بالعديد من الأعمال الشعرية التي تمجد نضال الشعب ضد المستعمر وتعلي من قيمة الروح الوطنية، وهاهو الشاعر السوداني محمد عثمان عبدالرحيم ينشد :

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

كل أجزائه لنا وطن إذ نباهي به ونفتتن نتغنى بحسنه أبدا دونه لا يروقنا حسن

حيث كنا حدت بنا ذكر ملؤها الشوق كلنا شجن نتملى جماله لنرى هل لترفيه عيشه ثمن

وفي ديوان شاعرنا العباسي نطالع عدد من القصائد، يدعو فيها السودانيين للتمسك بوطنهم العربي الكبير، والتمسك بوحدة وادي النيل ويجهر بألا ينساق المجتمع وراء المستعمر كالقطيع ، فنراه يقول:

وما أرادوا يمين الله إذا وضعوا جمع الشتات ولا للحقّ إحقاقا

فمحصوا الرأي لا ترضوا بيانعة وإن أصاب هوى منكم وان راقا

لا تُخدعوا إن في طيَّات ما ابتكروا معنى بغيضاً وتشتيتاً وإرهاقا

لسنا القطيع قطيع الضأن يزجره الراعي كما شاء إشاماً وإعراقا

ساقوا لكم كأس خمر نشرها عبق فهل جهلتم من الساقي وما ساقا

ونلاحظ في قصيدة " يوم التعليم" أن شاعرنا يحذر السودانيين من التحزب، ويصفه بالسم الذي لا ترياق له، ويدعو إلى نبذ التفرق والشتات والاختلافات، ويرى أن ضم الصفوف والوحدة هما السبيل الوحيد الذي ينير للشعب طريقه ليصل لغاياته، يقول في قصيدته "يوم التعليم":

إن التحزّب سمٌّ فاجعلوا أبداً يا قوم منكم لهذا السم ترياقا

ضمّوا الصفوف وضمّوا العاملين لها لكي تنيروا لهذا الشعب آفاقا

ولقد أمر الله تبارك وتعالى هذه الأمة بالاجتماع والائتلاف ووحدة الكلمة ورص الصفوف ونبذ التنازع والتفرق والاختلاف وترك الشقاق والتفرق والتحزب، يقول الله سبحانه وتعالى: "واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" {آل عمران: 103}.

وقد كان شاعرنا العباسي من أشد المنافحين عن فكرة وحدة وادي النيل، ولم شمل البلدين، وقد عبر عن تلك المواقف والآراء شعراً في أكثر من مناسبة، وديوانه زاخر بعدد من القصائد التي تدلل على ذلك، فمن ذلك قوله:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

مصر وما مصر سوى الشمس التي بهرت بثاقب نورها كل الورى

ولقد سعيت لها فكنت كأنما أسعى لطيبة أو إلى أم القرى

فشاعرنا العباسي مفتون بحب مصر، ومولع بها، ربما كان دافعه الأقوى في ذلك نبذ الفرقة والشتات بين أبناء وادي النيل، فها هو يقول في قصيدته "آمال السودان في مليك الوادي":

كذب الذي ظن الظنون فزفها للناس عن مصر حديثاً يفترى

والناس فيك اثنان شخص قد رأى حسناً فهام به وآخر لا يرى

وكان شاعرنا كلما رأى أهل السودان، يركنون إلى المخادعين وللسياسة، يأبى قلبه الوفي إلا أن يدعوهم إلى الرجعى، ويزجي لهم النصح والإرشاد، فيقول:

اسمعْ نصيحةَ صادق ما غيرت منه الخُطوب هوى ولن يتغيرا
لم آت أجهل فضل رأيك والحجى لكن أتيتك مشفقاً ومذكرا

ثم يقول لهؤلاء الأصدقاء:

فاربأ بنفسك أن تكون مطية للخادعين وللسياسة معبرا
وحذار من رسل القطيعة إنهم رهط قد انتظموا ببابك عسكر

فشاعرنا العباسي رجل جمع نفس الحر الأبي إلى القلب القوي الذكي، الذي يغوص إلى أعمق المعاني ويصورها في أبرع اللوحات، ليوصل رسالته السامية النبيلة، إلى أمته – أهل السودان – الذي كان ظنه فيهم عظيماً.

9- حب الطبيعة ووصفها:

عاش العباسي في البادية وارتبط بها، وكتب كثيراً من الشعر عن سحر الطبيعة وبهذا سلك عبادة وهي عبادة التفكّر والتأمل في خلق الله عزّ وجلّ، وعظمته وقدرته، وهي عبادة قلبيّة، تحدث في باطن الإنسان، وترجمها الشاعر بعباراته العربية الجزلة التي غذتها مضارب البادية ومنتجعاتها، وقد ورد في التفكر فضل عظيم في الكتاب والسنة والآثار، قال تعالى في سياق مدح المؤمنين: "وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" {آل عمران:191} ، وفي قصيدته (مليط) يظهر مدي وصفه للطبيعة وتعلقه بها، فيقول:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

حياك مليط صوب العارض الغادى وجاد واديك ذا الجنات من واد

فكم جلوت لنا من منظر عجب يشجى الخلىّ ويروى غلة الصادى

أنسيتنى برح آلامى وما أخذت منّا المطايا بايحاف وايخاد

كثبانك العفر ما أبهى مناظرها أنس لذى وحشة رزق لمرتاد

فباسق النخل ملء الطرف يلثم من ذيل السحاب بلا كد واجهاد

كأنه ورمالاً حوله ارتفعت أعلام جيش بناها فوق أطواد

فقد شده سحر تلك المدينة(مليط) التى تقع في ولاية شمال دارفور، التي يشقها واديها العظيم الذي تنساب إليه المياه من مرتفعات مدينة "كتم" في غرب السودان، فتدفقت تلك الكلمات الوصفية شعراً منه، كمياه ذلك الوادي المنهمرة.

والذي يطلع على أشعاره يجد كثيراً من شعره في وصف دارة الحمراء ووادي الربدة ووادي هور، ودار الكبابيش، فهو وصف قوى وعنيف نبت في قلبه كما قال صديقه حسن نجيلة في كتابه "ذكرياتي في البادية".

وقد كان شاعرنا مولعاً بحياة البادية، فأحب التنقل والأسفار، وعشق الفروسية، ومارس الصيد، يقول أسعد الطيب العباسي: "كان العباسي يحب الخيل ويمتلكه، ولعل مهرته الرشيقة (كيلوباترا) التي كانت تحوز قصب السبق في المضامير أهم وأشهر ما امتلكه من الخيل، أما الأيانق فكان لها في قلبه مكانة لا تعدلها إلا مكانة المحبوب، فهي رفيقته في الفلوات وحاملة أثقاله وعلى ظهرها يسافر ويقطع السهوب وينزل الوهاد ويعتلي النهاد"(العباسي، أسعد الطيب: 2011).

وفي قصيدته "وادي هور"، وهو الوادي الذي يقع غرب السودان، وحوله من الآثار ما يدل على أنه كان مثوى حضارة قديمة، وهو من أطول الأنهار الموسمية في الصحراء الكبرى(يوسف، هارون سليمان: 2013) ، يقول شاعرنا في وصف رحلته لذلك الوادي:

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

زار الرحالَ وبيننا	سيرٌ على البيدا عسر
إيجاف شهر للمطي	تخوض في كثُب عفر
وسرى ليال لم نَذقْ	طعمَ الكرى حتى السحر
سبحان ربي أين وادي	النيل من وادي هَوَر

ولم تكن قصيدته " وادي الربدة" لتختلف كثيراً عن قصيدة "وادي هور"، يقول فيها:

مررت بالحي ضحًى	أروضُ مُهراً أدهما
مرتدياً من الشبابِ	ضافياً مُنمنما
لقيتُه في أربعٍ	بيضٍ كأمثال الدُّمى
شابهن أزهارَ الربيع	وحكينَ الأنجما

إن القيم الإنسانية الفاضلة في شعر الشاعر محمد سعيد العباسي عديدة، وتعد تبراساً للدارسين بما تحويه من معان وأفكار. ولا شك أن تلك القيم الإنسانية التي تناولها الشاعر العباسي من خلال شعره تسهم في بناء المجتمع؛ فهي قيم وضعها الإله لخير البشرية وإصلاحها؛ لذلك سعى شاعرنا بكل جهد إلى التعبير عن تلكم القيم بكل صورها وأشكالها في قصائده ومقطوعاته.

خاتمة البحث:

إذا كان الشعر يمثل قيمة كبرى لدى المجتمع الإنساني؛ فإن قيمة هذا الشعر تكمن في مجموعة القيم الإنسانية التي يعبر عنها الشعراء في تضاعيف قصائدهم ودواوينهم الشعرية، والخطيب في خطبه وأقواله المنثورة والمأثورة، فالمجتمع السوداني مثل غيره من المجتمعات؛ ضم عدداً من المصلحين شعراء وخطباء، وطائفة من العلماء والحكماء ورجال الدين، سعوا بأقوالهم وأفعالهم إلى غرس مجموعة من القيم الإنسانية العليا المتنوعة في نفوس المجتمع، وأخذوا على عاتقهم تغيير المجتمع إلى الأفضل الذي ينشدونه.

وكان من أبرز أولئك الشاعر محمد سعيد العباسي الذي سعى من خلال شعره إلى غرس تلك القيم الإنسانية في النفوس ؛ ذلك لأن المجتمع يحتاج لبناء حضارته ورقيه ونمائه على مجموعة القيم الإنسانية الاجتماعية المحمودة التي تغرس في نفوس أفراده. وقد إهتمت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على القيم الإنسانية الفاضلة في شعر الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي ، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، وهي :

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والإجتماعية
ISSN: 1858- 6848
http//:ojs.abutana.edu.sd
العدد السادس والعشرون ، يونيو، 2024، ص (78- 104)

- إن شعر العباسي عن القيم الإنسانية فيه روح جديدة، ومعان جديدة، وحياة جديدة ، تعكس خياله الواسع حيث تشربت نفسه بروح الإسلام .

- القيم الإنسانية في شعر محمد سعيد العباسي أعلت منزلة شعره وزادت من قيمته الفنية والأدبية.

- إن ثقافة الشاعر العباسي مستمدة من نشأته الأولى ، حيث حفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، إلى جانب البيئة الصوفية التي عاش في رحابها.

- إن شعر العباسي زاخر بالقيم الإنسانية الفاضلة التي دعا الإسلام للتمسك بها .

- من أبرز القيم الفاضلة التي حوت شعر العباسي: خدمة التعليم ، والمكانة الرفيعة للأهل والعشيرة، ونبذ الفرقة والشتات ، وغرس المعاني السامية في نفوس الأجيال.

ويوصى الباحث بالآتي :

- تناول جوانب أخرى في شعر العباسي ، مثل شعر الحنين ، وشعر الوطنية ، والفخر والحماسة .
- مقارنة شعر العباسي بأي شاعر عربي آخر .
- تدريس شعر العباسي في مراحل التعليم المختلفة ، والتركيز على قصائده ذات النزعة الإنسانية .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

(1) ابن منظور ، محمدبن مكرم: لسان العرب ،ط3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، 1994.

(2) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني : معجم مقاييس اللغة ، تحيق عبدالسلام محمد هرون ، دار الفكر ج2، 1979.

(3) أحمد ، مجدي عبد المعروف: بناء القصيدة عند محمد سعيد العباسي، مجلة العلوم والتقانة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، السودان، مجلد11، 2009.

(4) الإمام،الرضي جادين: القيم الاخلاقية الاسلامية وارتباطها ببناء المجتمع والحضارة ، جامعة الجزيرة ، السودان،د.ت.

(5) بشارة ، مصطفى عوض الله : مواقف ورؤى في الشعر السوداني المعاصر دراسة أدبية ،شركة السودان للعملة ، ط1 ،2008 .

(6) بدوي، عبده: الشعر السوداني، عالم المعرفة، الكويت، 1981.
(7) بنت عبدالله، أروى بنت عبدالله بن محمد : بحث في القيم ، 1430هـ ، كلية الشريعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود.
(8) البنا، عبدالله محمد عمر: ديوان البنا، تحقيق على الملك، دار جامعة الخرطوم ، ط1، 1972.
(9) التهناوي، محمد بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مكتبة لبنان،1992
(10) الحق، محمد أمين : القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، الجامعة الإسلامية العالمية ، شيتاغونغ، بنغلاديش،2012.
(11) رضا، أحمد: متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958.
(12) الريح، صديق مصطفى: ثقافة الشاعر محمد سعيد العباسي، المجلة العلمية، جامعة الامام المهدي، العدد8، ديسمبر 2016.
(13) زريقي، سميحة:القيم الأخلاقية والانسانية في شعر أبي فراس الحمداني، جلمعة الجزائر،2012.
(14) الزبيدي،محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسيني : تاج العروس ، دار الهداية ، د.ط ،1306هـ.
(15) سامي ، أحمد عبد الله : الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر ،الخرطوم، 1968.
(16) السعافين ، إبراهيم : دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الإحياء في مصر ، دار الأندلس ، ط1 ، 1981.
(17) الشوش، محمد إبراهيم: الشعر الحديث في السودان، دار جامعة الخرطوم للطباعة، ط2، 1971.
(18) القاعود ، حلمي محمد : النقد الأدبي الحديث ، ط1 ،دار النشر الدولي ، السعودية ، 2006.
(19) عبدالله، انتصار مهدي:القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي،2008.
(20) العباسي ، محمد سعيد(1948) : ديوان العباسي : ط1، دار الفكر العربي ، القاهرة.
(21) عباس، إحسان: الشعر السوداني ، مجلة الدراسات السودانية ،نصف شهرية،جامعة الخرطوم،كلية الآداب، العدد، 1971.
(22) العماري، على: الشعر في السودان، مجلة الرسالة، العدد 790، أغسطس 1948.
(23) نجيلة، حسن: ذكرياتي في البادية، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2005.
(24) يوسف، هارون سليمان: معالم من دار زغاوة، صحيفة الراكوبة الإلكترونية، يناير2013.